الدرس (08): ترجمة المصطلح الأسلوبي

تمهيد:

الأسلوبية منهج لغوي، يهتم بدراسة مختلف الوقائع الأسلوبية الحاضرة في النص الأدبي؛ كما يتطلع لتفسير تلك الممارسات التعبيرية التي يخرج بها الأديب عن المألوف في صياغة الكلام، ومن هنا كان الأسلوب السمة الفارقة بين الأدباء والموضوع الأساسي للمقاربة اللسانية الأسلوبية؛ أما المصطلح الأسلوبي فقد أفاد المنجز العربي من المصطلحية الغربية في هذا المنهج بواسطة الترجمة.

مصطلح الأسلوب (style):

يأتي لفظ الأسلوب في مقابل المصطلح الأجنبي (style)؛ على أنه «اصناع لغوي مستحدث نسبيا؛ يمتد إلى الكلمة اللاتينية (stilus)»[1]؛ التي عرّبها "عدنان بن ذريل" في كتابه "النص والأسلوبية" وهو بصدد تحديد معناها اللغوي؛ حيث قال: «لغة تعني كلمة استيلوس في اللاتينية (الأزميل) أو (المنقاش) للحفر، والكتابة، وقد كان اللاتين يستعملونها مجازا للدلالة على شكلية الحفر، أو شكلية الكتابة، ثم مع الزمن اكتسبت دلالتها الاصطلاحية البلاغية والأسلوبية، وصارت تدل على الطريقة الخاصة للكاتب في التعبير»[2].

وهذه الخصوصية في طريقة الكتابة مردّها إلى الكاتب نفسه، والكتّاب على اختلاف في طرائقهم التعبيرية، كل واحد منهم حسب رصيده اللغوي، وثقافته الأسلوبية، وكذا الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية التي تدفعه إلى الكتابة بأسلوب خاص دون غيره.

إن الأسلوب "أداة للكتابة"، وعلامة للتفرد في صياغة الخطاب وتحرير الكلام؛ حيث يخضع لاختيار المتكلم في استعمالاته اللغوية المتعددة، وتتجلى السمات الدلالية للخطاب عبر مختلف الوظائف الأسلوبية[3]، كما أن الأسلوب طريقة مخصوصة لوضع الأفكار في هيئة كلمات، وهو نمط خاص في الصياغة والتعبير اللغوي الكتابي،

---

[1]– يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2007، ص75.

[2]– عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص43.

[3]– ينظر: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي – فرنسي – عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء، 2002، ص141.

وكذلك لغة الحديث، وهذا ما يجعل الأسلوب من الخصائص المميزة للنص الأدبي في اتصاله بالشكل التعبيري أكثر من الأفكار المراد تبليغها[1].

إن الأفكار معروفة للجميع؛ لكن مدار الاختلاف يمكن في طرائق التعبير عنها؛ أي أن تجسيد الفكرة في هيئة لغوية هو الذي يحدد مراتب الوظيفة الأسلوبية على مستوى الخطاب، ويجعل الكتّاب في مراتب متفاوتة؛ وأن أي محاولة لفهم الأثر الكتابي يجب أن تمر عبر هذه الوظيفة.

وهناك تعريفات كثيرة لمصطلح الأسلوب في الفكر الغربي، تشير إلى كونه إعمال للفكر في الاشتغال على اللغة؛ وأنه مختلف في الوضع باختلاف واضعه؛ حيث عرّفه "بيار جيرو" بالقول: «طريقة في الكتابة، وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية»[2].

وأكد "بوفون" على خصوصية الأسلوب في الدلالة على صاحبه؛ حين قال: «إن المعارف، والوقائع، والكشوف يسهل نقلها وتعديلها، بل تكتسب مزيدا من الشعراء إذا تناولتها أيد كثيرة، فهذه الأشياء خارجة عن الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، فالأسلوب لا يمكن أخذه، ولا نقله، ولا تعديله»[3].

وارتباط مفهوم الأسلوب بقائله، وبطريقته في القول يخرجه من دائرة العموم إلى مضيق الخصوص الذي ينفرد به كل قائل، ومن هنا كان الأسلوب معبرا عن شخصية صاحبه نطقا أو كتابة؛ ولهذا اقترح "ابراهيم فتحي" تعريفا للأسلوب على أنه «التأثير الخاص لشخصية الكاتب الفنية في المادة التي يتناولها بالتعبير»[4].

إن الكاتب حين يعتمد أدوات تعبيرية معينة في الكتابة؛ يتطلع دائما لتحقيق مطلب الأدبية؛ وهذا ما يفسر اختلاف الكتّاب في معالجة الموضوع ذاته؛ ذلك أن الأسلوب لصيق بصاحبه، ويحمل بصمته الخاصة، لذا يستحيل القول بفعل المشاركة في هذا الباب.

إن تحديد مفهوم الأسلوب ليس بالأمر الهين بالنظر إلى ارتباطه بقضايا الشعرية، وتقنيات التعبير التي تختلف من جنس أدبي لآخر؛ «فأسلوب الشعر تتم مقاربته على مستوى البنى التعبيرية الصغرى، ودرجات تواترها، أما

---

[1]– ينظر: ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، 1986، ص28.

[2]– بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ت.ط)، ص 9.

[3] – شكري عيّاد اللغة والإبداع – مبادئ علم الأسلوب العربي، أنترناشيونال للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1988، ص 24.

[4]– ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص29.

أسلوب الرواية فنظرا لاتساع مساحته النصية، واختلاف تقنياته التعبيرية، فإنه يلتقط عبر البنى الكبرى المرتبطة بتعدد الأصوات، وبأبنية الزمان والمكان، وبالشكل الكلي للخطاب الروائي في جملته، ودرجة تحقيقه لأنواع متميزة من شعرية السرد، كما أن لغة المسرح بدورها تتخذ تشكيلات مخالفة لما رأيناه في الشعر والسرد؛ طبقا للمكونات الدرامية للنص المسرحي، وطبيعة إشاراتها، وأنواع الكتابة المسرحية، الأمر الذي يجعل السمات اللغوية غير كافية وحدها لتوصيف الأساليب المسرحية الكبرى»[1].

نستنتج من ذلك أن هناك عوامل تتحكم في توجيه مفهوم الأسلوب؛ تتمثل في الكاتب أولا ثم الاحتكام إلى تقنيات الكتابة الخاصة بكل لون أدبي ثانيا، فأسلوب الشعر ليس هو نفسه أسلوب الرواية، وأسلوب المسرح مختلف عن أسلوب القصة وهكذا، وداخل اللون الأدبي ذاته هناك مساحات أسلوبية لا بأس بها لممارسة الاختلاف بين الأدباء؛ ذلك أن الأسلوب قبل أي تحديد معرفي متخصص هو وجهة نظر فنية وأدبية خاصة.

مصطلح الأسلوبية (stylistique):

انتقل مصطلح (stylistique) إلى اللغة العربية مستحضرا عدة مقابلات اصطلاحية؛ إلا أن مصطلح الأسلوبية قد اكتسح تداوله مقارنة بغيره من البدائل الاصطلاحية لدى الباحثين العرب؛ ومن هذه المقابلات مصطلح الأسلوبيات (stylistics) الذي ذكره "سعد مصلوح" في كتابه "الأسلوب دراسة لغوية إحصائية"[2]، و"رابح بوحوش" في كتابه "البنية اللغوية لبردة البوصيري"؛ حين قال: «ولّدت صلة اللسانيات بالأدب في ممارسة نصوصه مذهبا جديدا أطلق عليه اسم الأسلوبيات (stylistique)»[3]، كما نجده عند "عدنان بن ذريل" في دراسة له حول "النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق"؛ حيث خصص الفصل الثالث منها للبنية الأدبية والأسلوبيات[4].

يأتي مصطلح الأسلوبيات على منوال لغوي درج الباحث العربي على اعتماده في إطلاق المصطلحات؛ كما هو الحال بالنسبة لمصطلحي اللسانيات، والسيميائيات وغيرهما، فضلا عن استحالة الفصل المعرفي بين هذه المباحث في الفكر اللغوي.

---

[1]– صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميرت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص113.

[2]– ينظر: سعد مصلوح، الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1996، ص156.

[3]– رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت.ط)، ص7.

[4]– ينظر: عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، ص36.

هناك أيضا مصطلح علم الأسلوب الذي أطلق على أنه هو نفسه الأسلوبية؛ وتمت مقابلته بالمصطلح الأجنبي (stylistics)؛ وهذا ما نجده في "معجم مصطلحات علم اللغة الحديث" تأليف مجموعة من اللغويين العرب[1]، كما أشار إليه "يوسف وغليسي" في كتابه "مناهج النقد الأدبي"؛ حين قال: «الأسلوبية (stylistique) (stylistics) هي علم الأسلوب»[2].

ويأتي مصطلح علم الأساليب على أنه هو نفسه الأسلوبية؛ ويتخذ مقابلا للمصطلح الأجنبي (stylistics) (stylistique) لدى "مبارك مبارك" في معجمه "المصطلحات الألسنية"[3]، وكذلك عند "محمد عناني" في اعتماده مصطلح علم دراسة الأساليب وتحليلها[4]، وقد صرّح مؤكدا علمية الدراسة الأسلوبية بالقول: «استفاد البنيويون من اللغويات من زاويتين؛ الأولى هي تطبيقاتها المباشرة على الأدب، مما أدى في نهاية الأمر إلى ظهور علم الأسلوبية (stylistics)، والثانية هي التطلع إليها باعتبارها المثل الأعلى للعلم ذي الضوابط الذي يصف أبنية اللغة وتراكيبها دون الحكم عليها»[5].

كذلك "عادل سلامة" في ترجمته لكتاب "نظرية الأدب" لمؤلفيه "رينيه وليك" و"آوستن وآرن" نجده يشير إلى علمية الدرس الأسلوبي قائلا: «هناك استخدام أدبي جمالي لعلم الأساليب يقصره على دراسة عمل فني أو مجموعة من الأعمال توصف من حيث وظيفتها ومغزاها الجمالي، وعلم الأساليب لا يصبح جزء من الدراسة الأدبية إلا إذا كان هذا الاهتمام الجمالي أمرا محوريا، وسيكون جزء هاما؛ لأن مناهج علم الأساليب وحدها هي التي يمكن أن تحدد خواص العمل الأدبي»[6].

إن تعدد المقابلات الاصطلاحية العربية، واعتمادها في نقل المصطلح الأجنبي يعدّ ظاهرة في المصطلحية اللسانية عموما، وليس الأمر حكرا على المصطلح الأسلوبي وحده؛ ويمكن تفسير ذلك بغياب التنسيق العربي بين الباحثين في ترجمة المؤلفات الغربية.

---

[1]– ينظر: نخبة من اللغوين العرب، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي – إنكليزي وإنكليزي – عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص63.

[2]– يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2007، ص75.

[3]– ينظر: مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي – إنكليزي – عربي)، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص272.

[4]– ينظر: محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم (إنجليزي – عربي)، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، مصر، ط2، 1997، ص67.

[5]– نفسه، ص106.

[6]– رينيه وليك وآوستن وآرن، نظرية الأدب، تر. عادل سلامة، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1992، ص245.

وقد عقّب "نور الدين السد" على هذه الظاهرة في المصطلح الأسلوبي؛ فقال: «والملاحظ أننا لا نرى خلافا جذريا بين الباحثين بخصوص تحديد طبيعة المصطلح، وصوغه، فجميعهم يتفق على أن الأسلوبية، وعلم الأسلوب، والأسلوبيات هي الدرس العلمي للأسلوب الأدبي، ولا نرى ضيرا من استعمال هذه المصطلحات الثلاثة، وإن كنا نحبذ مصطلح الأسلوبية لرواجه بين الدارسين العرب»[1].

ولا يقتصر الأمر على وجود هذه المقابلات الاصطلاحية فحسب بل هناك مقابل اصطلاحي آخر يقل توظيفه مقارنة بغيره إلا أنه يتصل أكثر بطبيعة النشاط الأسلوبي في اشتغاله على اللغة؛ حيث يحيلنا إلى ظاهرة الانحراف أو الانزياح الأسلوبي؛ يتمثل هذا المصطلح في «علم الانزياحات اللغوية»[2].

وتقع هذه الانزياحات على عاتق الوقائع الأسلوبية التي يتضمنها النص الأدبي؛ ذلك أن «الأسلوب بتحويله من النفعية إلى التأثيرية يتسم بطابعه الجمالي الفني، الذي يقوم على أساس دراسة الأنماط التعبيرية في انزياحاتها، وخروجها عن اللغة العادية في منطقية الأداء، إنها رؤية جديدة في الكتابة، وتحوير في الصيغ اللغوية، والصور الفنية»[3].

إن الإصرار على فكرة علمية الدراسة الأسلوبية، لا يخرج في سياقه العام عن مطلب علمية الدرس اللغوي عموما، وقد أثارت هذه الفكرة جدلا واسعا إلا أن عقبة النسبية استمرت تحاصر المنجز اللغوي الإجرائي بمختلف تصوراته، ومهما يكن من أمر الأسلوبية في هذه المسألة فإن صرامة العلم لا تتوافق مع زئبقية الأثر الجمالي للأسلوب.

أما عن المقولات التنظيرية والإجرائية فتفيد الأسلوبية من مقولات الدرس الألسني الحديث؛ كونها «علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة»[4]؛ كما أنها تتقاطع معرفيا مع معارف أخرى مثل البلاغة، والنقد الأدبي، وعلم العلامات وغيرها؛ وهذا ما ساهم في اتساع مجال الدراسات الأسلوبية، وتعدد اتجاهاتها.

---

[1]– نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي)، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص12.

[2] – جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر. محمد لمولي ومحمد الغمري، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص 16.

[3] – قدوسي نور الدين، القيمة العدولية في الصورة الاستعارية – قراءة في جمالية التلقي، مجلة القلم، ع 27، جامعة السانية، وهران، الجزائر، يناير 2013، ص 274.

[4]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط3، (د.ت.ط)، ص56. ص56.

عناصر الممارسة الأسلوبية:

وهناك مفاهيم كثيرة متواترة في الدرس اللغوي العربي تتعلق بالأسلوب؛ من المداخل التواصلية الثلاثة؛ الكاتب (المرسل)، والنص الأدبي (الرسالة)، والمتلقي (المرسل إليه)؛ غير أن أكثرها تداولا القول بالأسلوب «باعتباره اختيارا يجريه المتكلم من احتمالات تعبيرية متعددة»[1].

وبما أن مفهوم الأسلوب يعد مفهوما مركزيا في الدراسة الأسلوبية على مستوى التنظير والإجراء، كان لزاما على الباحث الأسلوبي أن يضبط هذا المفهوم ضبطا صحيحا؛ ويمكن رصد ثلاثة توجهات في هذه المسألة بالنظر إلى المداخل التواصل التي سبقت الإشارة إليها؛ كالآتي[2]:

– **المرسل**: الأسلوب مرتبط بالمرسل من منظور النموذج التواصلي المعروف في الدراسات الإنسانية عموما، كما أنه شخصي يحمل الملامح التعبيرية لصاحبه على أساس الاختيار اللغوي من بين مجموعة لانهائية من البدائل اللغوية المتاحة.

– **الرسالة**: الأسلوب خاصية نوعية يتضمنها النص الأدبي نفسه بغض النظر عن صاحبه؛ كما أنه انحراف عن القاعدة المألوفة في التعبير، ولا يكون الأسلوب أسلوبا بهذا المعنى إلا بالرسوخ الذي يثبته التكرار فيصبح سمة أسلوبية خاصة بنظام النص، ولكل نص نظامه الخاص.

– **المرسل إليه**: يتحدد الأسلوب بالنظر إلى المتلقي، وهو الطرف الثالث في عملية التواصل اللغوي؛ حيث توكل إليه مهمة إدراك الخصائص الأسلوبية والتمييز بينها، فضلا عن كشف انحرافها، وبيان أثرها في النص، ولا يسعه ذلك إلا إذا كان قارئا نموذجيا.

عناصر التحليل الأسلوبي:

يهتم البحث الأسلوبي بالنص الأدبي؛ من حيث هو ظاهرة إبداعية متميزة بأسلوبها؛ فيعنى بالتركيز عليه وصفا وتحليلا؛ «وفي قيام الأسلوبية بالتحليل الأسلوبي إنما تعتمد في ذلك على مجموعة من العناصر؛ أولها العنصر اللغوي الذي يدور في إطار اللغة، وثانيها العنصر العملي الذي يُعنى بالمؤلف، والقارئ، والسياق التاريخي،

[1]– محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، ديسمبر 1998، ص176.

[2]– صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص111–112.

والظروف التي صاحبت خلق النص، وثالثها العنصر الجمالي الذي يتصل بالنقد الأدبي، ويتناول التأثير على القارئ، والتفسير النقدي للنص، والقيمة النقدية للأسلوب»[1].

تؤثر هذه العناصر الثلاثة في توجيه عملية التحليل الأسلوبي انطلاقا من كونها أساس الصياغة الأسلوبية بالنسبة لأي نص أدبي؛ كما لا يمكن غض النظر عن أهمية أي عنصر منها في الممارسة الأسلوبية؛ ذلك أن بناء الأسلوب يتحقق بفعل أثر هذه العناصر مجتمعة؛ أي:

– **العنصر اللغوي**: حيث يشتغل التحليل الأسلوبي على تحديد مجموع خيارات اللغوية المعتمدة في النص الأدبي، الذي يملك كفاءة استثمار مختلف الامتيازات التعبيرية التي تمنحها اللغة النظام؛ بكل ما تتميز به من خصائص بلاغية ودلالية، وغيرها.

– **العنصر العملي**: ويتعلق بالكاتب أو المؤلف الذي ينتج النص الأدبي، وكذلك القارئ الذي يتلقاه، ومختلف السياقات والملابسات التاريخية والاجتماعية التي أدت بشكل ما إلى إنتاج هذا النص إنتاجا موجها للتعبير عن روح العصر.

– **العنصر الجمالي**: ويختص بالبحث في ثلاث مسائل؛ تتمثل في دراسة التأثير الأسلوبي للنص على قارئه أولا، ومحاولة تفسير أدبية النص في معطاه الأسلوبي ثانيا، والوقوف على القيم الجمالية للوقائع الأسلوبية في النص ثالثا.

نخلص أخيرا إلى أن هناك جهود عربية عديدة في ترجمة مصطلح الأسلوبية؛ إلا أنها وقعت في مزلق التعدد والاختلاف دون تقديم مبررات اصطلاحية مقنعة لذلك؛ فضلا عن كثرة المفاهيم والتصورات في تحديد الدلالة الاصطلاحية؛ جراء اتساع الحقل المعرفي للمقاربة الأسلوبية وتقاطعه مع مجالات بحثية أخرى لا تقل اتساعا.

[1] – مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2005، ص 53.